الميضاح

(تصحيح ما جاء في بعض المؤلفات عن بلاد العرب)

١ - ٢

تأليف

عاتق بن غيث البلادي

دار النفائس

فصول من
تاريخ قبيلة حرب

المؤلف: فائز البدراني.

الكتاب: يقع في ٥٣٨ ص، قطع (١٧ × ٢٥سم)، صدر (١٤١٧هـ/١٩٩٦م) عن دار البدراني في الرياض.

الملاحظات

أولاً: أفاد المؤلف وأجاد في كثير من مواد الكتاب، وخاصة ردوده على الواهمين والمتحاملين.

ثانياً: حَشَى ولفَّق كثيراً مما لا يفيد، ولو اقتصر على المفيد كان للكتاب فائدة أكبر وقيمة أكثر.

ثالثاً: عَتَّم ودَلَّس، فرغم نعيه على بعض المؤرخين هضم الحقيقة وانحيازهم إلى جانب عن جانب، فإنه لم يستطع أن يترفَّع عما وقعوا فيه، فقد أورد من المصادر المطبوعة نحو ٢٤٤ كتاباً، بعضها لا يستحق مجرد القراءة، أقول: رغم هذا الفيض فقد أسقط كتباً تشهد نصوص في كتابه بأنه استفاد منها، منها: معجم معالم الحجاز عشرة مجلدات، في صميم موضوعه، وذكر معاجم لا تمر بموضوعه إلَّا لماماً. معجم قبائل الحجاز، أسقطه رغم أنه أورد في هذا الباب كل ما كتب عن الجزيرة، زعم أن بعضها لا يستحق الالتفات إليه[1]. على طريق الهجرة، في قلب قبيلة حرب، فتعامى عنه رغم استفادته الواضحة في نصوص كثيرة. على ربى نجد، وردت أسطر في كتابه يظهر أن مادتها من هذا الكتاب (على ربى نجد). وغيرها.

---

(١) رغم أنه أثبته في بعض الهوامش.

رابعاً: تزلُّف، والتزلف علامة الضعف والخنوع، فإنه لمز كاتب هذا البحث في أماكن كثيرة، ولم يجرؤ على مس الذين لهم مَسانِد ومتاكىء!

خامساً: وقع في المحظور حين أورد في كتابه هذا (٥٦) راوياً من عامة الناس، بينما جل لمزه لمؤلف نسب حرب أنه أخذ عن العامة الذين لا يعتبرون مصادر، فهل هؤلاء الرواة ال (٥٦) الذين أوردهم ليسوا من العامة؟!

(لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتي مِثْلَه عارٌ عليكَ إن فَعَلتَ عَظِيمُ)

سادساً: بعض الأخطاء العامة.

١ ـ ص ١٠٥، قال: إن حرباً استقرت بين الحرمين الشريفين في آخر القرن الثاني الهجري.. إلخ.

نقول: راجع مرجعك فلعلك تجد أنها استقرت في أول ذلك القرن، والقرن مائة سنة، فبين أوله وآخره أجيال[1].

٢ ـ ص ١٠٧، ذكر عن المؤرخ اليمني الربعي أنه وجد بني هلال عند خروجه من مكة في طريق المدينة، ثم قبيلة حرب.

قلت: لم أَرَ غيره ذكر أن ديار بني هلال كانت بين الحرمين، فلعله خلط من الناس أَو وهم من المؤلف.

٣ ـ ص ١١٤، قال:... وذلك في منطقة وادي حَجَر المشهورة بين مكة والمدينة.

قلت: كذا ضبط اسم القرية بالتحريك، وصواب الاسم (حَجُر)، هذا المسموع، وفي هذا الرسم: حَجَر، من جهات خيبر، حَجَر، الحَجَر الأسود، والحِجْر: في جهات العلا والمسجد الحرام، وحَجُر، أو حَجْر: وادي زبالة من حرب، شرق رابغ على ١٠٠ كيل، وهذا هو الذي أورده المؤلف، ولكن أخطأ في ضبطه.

٤ ـ ص ١٢٨، أورد المؤلف مشجرة عن قبيلة حرب. أليست هذه نفس الفروع التي ذكرها نسب حرب؟ ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ﴾ [الأنفال/ ٤٢]. نعم لو كانت هذه من خلقه لكان بينه وبين نسب حرب اختلاف كبير، ذلك أن كل قبيلة عندما تعيد الكتابة عن فرعها تجد أنه يروى لك هذه المرة ما لم يروَ

---

(١) راجع: نسب حرب، فقد حددنا نزولهم الحجاز بسنة ١٣١هـ.

لك سابقاً، وقد توفر لدينا الآن فروع لم نذكرها في طبعات نسب حرب الثلاث السابقة.

٥ ـ ص ١٤٨، قال المؤلف: والمقصود بزبيد الشام هنا زبيد الواقعين شمال مكة... إلخ.

قلت: معظم القبائل في الحجاز تقسم إلى شام ويمن، فزبيد الشام شمال رابغ، وزبيد اليمن جنوبه.

وكذلك بلادية الشام وبلادية اليمن، وهذيل الشام وهذيل اليمن، وكلاهما حول مكة، وبني شِهْر الشام وبني شِهْر اليمن.. إلخ.

ولكن المؤلف لم يعش ببيئة جذوره ونشأ بعيداً عنها، ومن كان أستاذه كتابه فخطأه أكثر من صوابه.

٦ ـ ص ١٥٢، جاء:... بموضع يقال له عُمق شمال مكة.

قلت:

أولاً ـ اسم الوضع (عَمْق)، لا عُمق، والضبط من استنتاج المؤلف، وهو أسلوب يكثر منه ولا يحسنه.

ثانياً ـ هو غرب مكة، لا شمالها، وبالضبط هو المكان الذي يفترق منه الطريقان من جدة إلى مكة، فيأخذ منه الطريق المسمى طريق الأجانب يميناً خارج الحرم، وفيه مخفر يقابل مخفر الشُّميسي من الجنوب، سمي أيضاً مخفر الشميسي. والمكان له ذكر في شعر هذيل.

٧ ـ ص ١٥٩، تكرر اسم (وضاخ).

قلت: صوابه: أُضَاخ، وهذا من تحريفات العامة.

٨ ـ ص ١٦٠، جاء: وفي هذه السنة (٨٦١هـ) حشدت قبائل عنزة ومعهم فريح بن طامي رئيس بوادي آل كثير وتناوخوا هم والظفير.. إلخ.

قلت: آل كثير فرع من الظفير، وكان يلزم التنويه بذلك، منعاً للبس.

٩ ـ ص ١٦١: في موضع يقال له الموقدة في مر الظهران.

قلت: موقدات: الأجبل المغر التي تقع شمال بلدة الجموم، واحدتها موقدة، لا يدخل عليها التعريف[1].

---

(١) انظر: معجم معالم الحجاز (موقدات).

١٠ - ص ١٦٣، قال: ومع أن المؤرخ الشريفي لا يذكر تفاصيل هذا الحدث.. إلخ.

قلت: هذه صيغة غريبة، فلم أرَ من قال إن مؤرخي مكة شريفيون، بل هم مؤرخون لمكة، للأشراف وغيرهم، والصيغة تحمل لمزاً بأنهم يكتبون ما يشتهي الشريف، ولو صدق هذا القول، لوجدنا لكل شريف مؤرخاً، وقد يعزل هذا المؤرخ ويعين ذلك لحسن ولائه.

١١ - ص ١٦٧، جاء: المراوحة أهل بركة طاز.

ولم يعلق المؤلف، ولا أعرف في تلك الناحية مكاناً اسمه (طاز)، فلعله (طاشا) وهو وادٍ للحوازم من المراوحة.

١٢ - ص ١٧٨ : قال المؤلف - إثر وقعة لحرب على هذيل - ملاحظة هامة: المقصود ببني جابر هؤلاء فخذ كبير من قبيلة هذيل وكانت مساكنهم الأصلية الهدة قرب مكة، وهم غير بني جابر الفخذ المشهور في قبيلة حرب... إلخ.

قلت: إذا كنت تقصد الهدة الواقعة شمال مكة، فأهمية ملاحظتك أنها غلط، فسكان هذه المنطقة، إلى عهد غير بعيد، هم بنو جابر الحربيون، ثم إن بني عمرو النمويين استولوا على الهدة بالشراء وبالضغط، واستقطعوا المنطقة الواقعة بين درب الحاج السلطاني وحرار الهدة، فجلت بنو جابر إلى بحرة وأكنافها، وهم فيها إلى اليوم، ولا زالت الحرة الممتدة من الهدة شرقاً إلى عسفان غرباً تسمى (الجابرية) ولا زال لبعض بني جابر أملاك قرب اليفاع.

وظاهر أن الملاحظة من استنتاج المؤلف، واستنتاجاته لا يحسد عليها دائماً. أما تطابق الأسامي فليس دليلاً على النسب، وهذا يعرفه حتى العامة، فليس في بلاد العرب إقليم ليس فيه بنو جابر، بنو عبد الله، وبنو مالك. إلخ.

وعلى المؤرخ الحصيف أن يتأكد ويسأل، وأن تكون هل ملكة مميِّزة، وإلَّا لكان كل كاتب مؤرخاً (لولا المشقة ساد الناس كلهم)!

١٣ - ص ١٨٩، في حوادث سنة ٩١٠هـ نقل عن ابن فهد: (وفي ليلة الأحد ثامن الشهر أخذ بعض الجحادلة - وهم من زبيد - بعض الرَّطَّابة من طريق الوادي - وادي فاطمة - فأتوا إلى بيت الشريف قايتباي وصاحوا، إلى أن يقول: إلى أن أخذوهم في جبل ثور... إلخ.

قلت: قول ابن فهد (وهم من زبيد) وهم واضح أوقعه فيه لبس تطابق

الأسماء، فالجحادلة قبيلة من كنانة تسكن جنوب مكة على نحو من أربعين كيلاً، وجحادلة زبيد سكان ثول، تبعد ديارهم عن مكة على أقرب الطرق نحو من (١٥٠) كيلاً، ودليلنا على هذا القول، بالإضافة إلى بعد المسافة، هو أن فزعة الشريف أدركوهم جنوب مكة عند جبل ثور، ولو كانوا جحادلة حرب لفروا على طريق عسفان داخل ديار حرب، فلم يستطع أحد أن يدركهم، وكان على المؤلف أن يفطن لمثل هذا.

١٤ ـ يذكر المؤلف جميع الوقائع في الحجاز باسم زبيد، ولو كانت له معرفة بيئية لأدرك:

أ ـ كانت زبيد قلة، لا تستطيع مقارعة الأشراف بمعزل عن بقية حرب.

ب ـ كانت لهم القيادة، أما جيوش الغزو والمقارعة فكانت جلها من قبائل مسروح خاصة، ولا زال أناس أحياء يروون وقائع قادها ابن عسم ضمت معظم قبائل حرب، لعل آخرها يوم الثنية الذي ضم زبيد والبلادية وبشر ومعبد، وغيرهم.

جـ ـ إن القبيلة كانت تتداخل بحيث يكون في القرية الواحدة أفناء من كل قبائل حرب، فعلى سبيل المثال، في محافظة خليص إلى يومنا الحاضر: زبيد، وصبوح، ومحاميد، وبلادية، ومعابيد، وغيرهم، فهل لو حدث لقبيلة من هذه ما كان يحدث آنذاك تقف القبائل الأخرى موقف المتفرج؟!

ولكن العرب، من القدم، إذا ظهر فيهم القادة قالوا: قوم فلان، أي الشيخ الذي يرأسهم، ثم إن الأخ ينفي اسم العسوم ويدعوهم ذوي رومي، ويعتقد أن رومياً هذا هو الذي عاش في القرن التاسع، ولكن رومياً يتردد في أسماء العسوم، وفي أشعار حرب كثيراً، ثم أنه يجهل سيادة الشهرات عند العرب، فالشهرة عند العرب قد تسقط اسم القبيلة ما دام المشتهر على ألسنة الناس، فهذا على سبيل المثال، ابن رفادة شيخ مشايخ بلي لا يعرف معظم الناس أنه من البركات، وعودة أبو تايه، وابن ربيعان، وابن مبيريك، وابن طامي، كل هؤلاء لا تذكر فخوذهم مع أسمائهم، لأنهم يسودون القبيلة كلها، وربما تحاشوا ذكر فرعهم الخاص ليعمموا سيادتهم، وهذا ابن رشيد إذا أُسند إلى قبيلة، قيل الشمري، بين أنه فرع من فرع من فرع من شمر.

(وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم)

وإلى هنا نتوقف عن الملاحظات لأن باقيها يشبه أولها، ولعل لنا عودة

مع هذا الكتاب ومع غيره في المجلد الثاني من هذا الكتاب إن يسّر الله إخراجه. إلّا أن يصفو ذهن هذا المؤلف وينضج فكره ويرزن عقله، فنعتبره لبنة في البناء، وما أشد حاجتنا للبنات الصالحة، ولكن الأخ كثير العصبية قليل الفهم من شدة عصبيته:

وهنا لا أجد إلّا أن أشكر المؤلف على أمرين رجع عنهما، وأتمنى له الرجوع عن آخر.

فالأمران اللذان رجع عنهما، هما:

أ ـ هالني، وهو يحادثني، أنه لا يؤرخ إلّا بالميلادي، وخاصة وقائع حرب محمّد علي والسعوديين. فقلت له: هل الجبرتي كان يؤرخ بالميلادي؟! قال ـ وبصيغة الجزم ـ: نعم! ثم رأيته في كتابه هذا تراجع، فشكرت له هذه المنقبة. (لعل له عذراً وأنت تلوم).

والرجل معذور، فقد جاء في عهد الغزو الفكري، الذي يكاد يدمر كل تراثنا، حتى أن بدوياً جاءني من البادية قبل ٢٥ سنة شبه أمي وأدخلته العسكرية فترقى، وذات يوم يحدثني فيقول: سنة كذا وكذا، ويضع التاريخ الميلادي، قلت له: ولكني أفضّل التأريخ الهجري، ولا بأس بوضع الميلادي بعده لمن لا يفهم الهجري، فإذا الرجل يقول: لا والله، حنا ما عاد نعرف هذا التأريخ!!

ب ـ حادثتُ المؤلف يوماً، فإذا هو يظن أن قبيلة حرب نجدية الأصل وأن من في الحجاز جاء من هناك! هالني أيضاً هذا الفهم، إذ أن الرجل نشأ في القصيم ورأى قومه وظنهم كل حرب التي تمتد ديارها ـ اليوم ـ من حلي جنوباً إلى ماء الفرات شمالاً! ثم رأيته تراجع بعد ذلك، فشكرت له هذا.

ولكن تأصلت عنده علتان: علة العصبية، فحرب عنده فوق الجميع، وعلة الحسد، فقد رأى رواج نسب حرب، فظل يطعن ويدور بين قبائل حرب، مذيعاً أن تلك الوقائع لا أساس لها من الصحة.

أما التي أردت أن يرجع عنها، وحاولت إفهامه، هو أن التأريخ أساسه رواية شفوية. في المجلد الأول من كتابي رسائل ومسائل، رسائل دارت بيني وبينه، وكالمته قائلاً: كيف وصلت إلينا أخبار جرهم وخزاعة، وحرب الفجار وأخبار قريش بل السيرة النبوية؟ أليست أخباراً في أفواه العامة مرت على بعضها مئات السنين؟! قال - ويا لتفاهة ما قال -: ما علي من أولئك، ولكن قبيلة حرب ما يكتب عنها إلَّا شيء موثَّق! قلت: يعني حرب أهم من قريش؟! قال: نعم. فوضعت سماعة الهاتف. واتصل بعدد من المتنورين من القبيلة يقول: عاتق صك السماعة في وجهي. ثم أرسلت له رسالة مفصلة على بريده، فجاءت الرسالة عائدة مكتوب عليها (غير معروف)، ونشرتها في مجلد رسائل ومسائل الأول.

وعلى العموم كتاب (فصول من تأريخ قبيلة حرب) رغم أنه نقلي بحت في مادته فهو مفيد، جمع فيه المؤلف معظم النصوص التي ذكرت قبيلة حرب، والله نسأل لنا وله التوفيق، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ومن يهدي الله فلا مضل له.

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين).

كتبه
عاتق بن غيث البلادي